ثالثاً :

جهود الشيخ في توحيد كلمة ولاة الأمر والعاملين للإسلام

إن جهود الشيخ في جمع الكلمة وتوحيد الصف أعظم من كتاب يسطرها ، وأجل من بحث يصورها ، إنها جهود امتدت امتداد عمره المبارك بسنواته وأشهره وأيامه وساعاته ودقائقه وثوانيه ، لقد كان ساعياً بينهم بالكلمة الطيبة ، والنصيحة الصادقة ، وكان لا يألو جهداً في زرع المحبة ، وبذر المودة ، وتمتين حبال التواصل ، وإقامة جسور التعاون ، كان رسول خير بينهما ، وصلة صدق لكليمها ، يدعو الدعاة للسمع والطاعة لأمرائهم ، ويذكرهم بحسناتهم ، ويحثهم على القرب منهم ، وكسب مودتهم ، وفي المقابل يُجَمِّل صورة الدعاة عند ولاة الأمر ، ويدافع عنهم، ويناضل عن حماهم ، ويدعو إلى دعمهم ، ويشد من أزرهم ، ويؤكد على سلامة نياتهم ، وصدق طوياتهم، ويجعل عرضه دون أعراضهم ، ونحره دون نحورهم ، لا يرضى فيهم بكلام ، ولا يسمع بخصام ، ولا يألو في رفع ملام .

ومما مضى يتبين لنا أن الشيخ – رحمه الله تعالى – كان ذا نهج رائد، وطريق راشد ، وكان ينظر إلى الولاة والدعاة على أنهم كل لا يتجزأ ، وأن الأصل فيهم الإسلام ، فلذلك يجب عليهم أن يكمل بعضهم جهود بعض ، وأن يتعاونوا ويتآزروا ويتناصحوا ليكونوا يداً واحدة في رفع راية الدين ، وإظهار الحق ، وقمع الباطل ، فكما أن الولاة بيدهم سلطان القوة والقهر ، فإن العلماء بيدهم سلطان العلم والفكر ، وهم أحد صنفي ولاة الأمر في الإسلام ، ومن أجل ذلك لم يكن عند الشيخ أي ازدواجية أو انفصام في هذه المسألة ، فالجميع في خندق واحد ولا تقوم لأحدهما قائمة بدون الآخر ، ومضى على هذا النهج التوفيقي الانسجامي التعاوني، يدعو وينصح ، ويعلم ويرشد ، وسوف نذكر طرفاً

من آرائه وكلماته التي تتجلى فيها تلك النظرة التكاملية الانسجامية التوفيقية الموفقة .

يقول – رحمه الله – : « فعليك يا عبد الله أن تبتعد عن الخمول والانزواء ، وأن تبلغ أمر الله إلى عباد الله ، وعليك أيضاً أن تنصح من استطعت نصيحته في كل مكان : أمير القرية ، وعالم القرية ، وقاضي القرية ، وعريف القرية ، ومن له شأن في القرية ، وفي المدينة ، وفي القبيلة ، وفي كل مكان تتصل به اتصالاً حسناً ، وتناصحه وتوجهه إلى الخير ، وتتعاون معه على البر والتقوى بالأساليب الحسنة ، بالعظة والتذكير بالكلام الطيب ، بالرفق لا بالعنف .

وهكذا مع الإمام الأعظم في الدولة ، ومع الوزراء في مسئولياتهم ومع القضاة ومع الدعاة ومع إخوانك في الله جميعاً تتعاون معهم .

هكذا يكون طالب العلم كما قال النبي ﷺ : « الدين النصحية ، قيل لمن يا رسول الله؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » أخرجه مسلم في صحيحه .

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » .

وقال ﷺ : « نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها، فرب مبلَّغ أوعى من سامع » ، وفي لفظ : « رب حامل فقه ليس بفقيه » ، وفي لفظ : « ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » [١] .

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم .

وقال في إحدى خطبه ﷺ : «فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع» ، والناس بخير ما تعاونوا على البر والتقوى ، مع ملوكهم وأمرائهم ، ومع قضاتهم ومع الدعاة إلى الله ، ومع جميع المسلمين ، ولكن مع مراعاة الأساليب الحسنة ، والرفق والحكمة ، وقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» ، رواه مسلم في الصحيح عن جرير بن عبد الله وعن عائشة رضي الله عنهما.

وفي رواية له عن عائشة – رضي الله عنها – مرفوعاً : «إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه» .

ويقول الرسول ﷺ في الصحيح : «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه» .

ويكفي في هذا قول الله سبحانه : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[١] ، وقول الله تبارك تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[٢] .

وفي قصة موسى وهارون عندما بعثهما الله إلى فرعون يقول الله سبحانه لهما : ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾[٣] »[٤] .

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .
(٣) سورة طه الآية ٤٤ .
(٤) الفتاوى ، جـ ٧ ، ص : ٢٢٣ .

وإليك نصاً آخر ، وأرجو أن تتأمل كلام الشيخ – رحمه الله – وكيف يخاطب الشعوب الإسلامية والحكومات جميعاً ويسميها الإسلامية خلافاً لكثير من النظريات الخطرة ، استمع إلى هذه الكلمات التي تجذب المخالف ، وتستميل المفرط ، وتقرب البعيد ، وتبث الطمأنينة، وتتألف القلوب ، يقول : « ولا سبيل إلى هذا النصر وإلى هذا الجمع الصحيح والاتفاق الصحيح إلا بالعودة إلى ما كانوا عليه – أي السلف الصالح – بالاستقامة على دين الله والنصر لدينه والحكم بشريعته ، هذا هو الطريق الذي سلكه سلفنا الصالح ، ويجب على الحكومات الإسلامية ، ويجب على العلماء التواصي بهذا الأمر والنصيحة لله ولعباده ، وأن يحكم الولاة شرع الله في عباد الله ، وأن يُلزموا المسلمين بالاستقامة على دين الله قولاً وعملاً وعقيدة ، وأن يجتمعوا على الحق والهدى ، وأن ينصروا إخوانهم أينما كانوا ، ويجب على الدول الإسلامية وأولياء المسلمين وعلى كل مسلم حسب طاقته أن ينصر إخوانه بكل ما يستطيع في فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال والهند والفلبين وفي كل مكان ، ويجب التعاون على البر والتقوى ، يجب على المسلمين جميعاً ولا سيما الحكومات الإسلامية والرؤساء يجب عليهم أن يبذلوا وسعهم في تحكيم شريعة الله وفي مساعدة إخوانهم في الله حتى ينتصروا على عدوهم ، وحتى يجتمع شملهم ، وحتى يأخذوا حقوقهم وافية كاملة .

المسلمون شيء واحد وجسد واحد ، فالمؤمنون إخوة يجب الإصلاح بينهم ، ويجب دعمهم ومساعدتهم ضد عدوهم ، ويجب التعاون على البر والتقوى في كل شأن ، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ، ويقول ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، ويقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » معنى لا يسلمه لا يخذله بل ينصره ويعينه على الحق وعلى عدوه الذي ظلمه .

ونصيحتي لكل المسلمين في كل مكان ولجميع الدول الإسلامية ولرؤسائهم وقادتهم والنصيحة للجميع أن يتقوا الله وأن ينصروا دين الله وأن يحكموا شرع الله فيما بينهم ، وأن يلزموا الشعوب بذلك ، فهذا هو طريق العزة وطريق الكرامة وطريق الاجتماع على الحق وطريق النصر على الأعداء ، ونصيحتي لهم أيضاً أن يتقوا الله في مناصرة إخوانهم في كل مكان بالمال والسلاح والرجال في فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال والفلبين والهند ، وفي كل مكان ، ويجب على من كان حول المسلمين في مكان أن يعينهم بما يستطيع ، فاتقوا الله ما استطعتم في نصرهم وإعانتهم وإنصافهم من عدوهم »[1] .

واستمع إلى هذه القطعة البيانية الإيمانية التعاونية الساحرة ، ذات المعاني الآسرة ، والأفكار العاطرة ، يقول – رحمه الله – : « وما يقال بالنسبة للأفراد يقال بالنسبة للأمم المسلمة ؛ إذ يجب على الأمة القوية في مالها أو رجالها أوسلاحها أو علومها أن تمد الأمة المستضعفة ، وأن تعينها على الحفاظ على نفسها ودينها ، وتمنع عنها الذئاب من حولها المتسلطة عليها ، وأن تؤتيها من مال الله الذي آتاها ، فهذا هو مقتضى الأخوة

---

(١) الفتاوى ، جـ٧ ، ص : ٢٣ – ٢٥ .

الإسلامية التي عقدها الرب سبحانه بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، إذ يقول جل شأنه : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ ، فيا أيها الزعماء والقادة ويا أيها المسلمون في كل مكان ، أدعوكم إلى تطبيق مقتضى الآية الكريمة والعمل على إقامة الأخوة الحقيقية بين كل المسلين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ، وأن يكون المسلمون يداً على من سواهم ، واعلموا وفقكم الله أن وسائل الابتلاء في هذا العصر أكثر منها في العصور الخالية ، ذلك أن الله سبحانه أفاض أنواعاً من النعم على طوائف من المسلمين ، وابتلى طوائف أخرى بالفقر والجهل وتسلط الأعداء من اليهود والنصارى والشيوعيين وغيرهم، وابتلى الناس بمخترعات جديدة وآلات حديثة يسرت اطلاع بعضهم على أحوال بعض، واتصالهم فيما بينهم ، وجعلتهم أعظم مسؤولية وأكثر قدرة على النصر ومد يد العون إذا هم أرادوا ذلك ، فالمسلمون اليوم يسمعون أو يرون ما يحل بإخوانهم في الفلبين وأفغانستان وإريتيريا والحبشة وفلسطين وبلدان أخرى كثيرة ، بل إن هناك أقليات مسلمة في دول شيوعية كافرة ، والمسلمون قد فرطوا في حقها ولم يقوموا بما يجب من نصرتها وتأييدها وإعانتها ، والرسول ﷺ يقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

ويقول ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه »[1] .

---

(١) متفق عليه .

وقال ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(١).

وقال أيضاً : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٢).

وهذه الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ توضح ما يجب أن يكون عليه المسلمون من التعاون والشعور بحاجة بعضهم إلى بعض ، ولقد قرر العلماء رحمهم الله أنه لو أصيبت امرأة مسلمة في المغرب بضيم لوجب على أهل المشرق من المسلمين نصرتها ، فكيف والقتل والتشريد والظلم والعدوان والاعتقالات بغير حق ، كل ذلك يقع بالمئات الكثيرة من المسلمين فلا يتحرك لهم إخوانهم ولا ينصرونهم إلا ما شاء الله من ذلك ، فالواجب على الدول الإسلامية والأفراد من ذوي الغنى والثروة أن ينظروا نظرة عطف ورحمة إلى إخوانهم المستضعفين ، ويعينوهم بواسطة سفراء الدول الإسلامية الموثوق بهم أو بواسطة الوفود التي يجب أن ترسل بين حين وآخر باسم الدول الإسلامية لتفقد أحوال المسلمين في تلك الدول أو الأقليات المسلمة في الدول الأخرى.

---

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد .

وإذا كانت الأمم النصرانية واليهودية والشيوعية وغيرها من الأمم الكافرة قد تحفظ حقوق أي فرد ينتسب إليها ولو أنه يقيم في دولة أخرى بعيدة عنها ، وتصدر الاحتجاجات وترسل الوعيد والتهديد أحياناً إذا لحق الواحد منهم ضرر ولو كان مفسداً في الدولة التي يقيم في أراضيها ، فكيف يسكت المسلمون اليوم على ما يحل بإخوانهم من حروب الإبادة وضروب العذاب والنكال في أماكن كثيرة من هذا العالم ، ولتعلم كل طائفة وأمة لا تتحرك لنصرة أختها في الله بأنه يوشك أن تصاب هي بمثل ذلك البلاء الذي تسمع به أو تراه يقطع أوصال أولئك المسلمين ، فلا يجدون من ينصرهم أو يعمل على رفع الظلم والعذاب عنهم ، فالله سبحانه المستعان وهو المسئول بأن يوقظ قلوب العباد لطاعته ، وأن يهدي ولاة أمور المسلمين وعامتهم إلى أن يكونوا يداً واحدة وصفاً متراصاً للقيام بأوامر الله والعمل بكتابه وسنة رسوله ونصرة المسلمين ومحاربة الظالمين المعتدين ، عملاً بقول الله سبحانه : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾[١] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[٢] .

وقوله عز وجل : ﴿ **وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾[٣] .

---

(١) سورة الحج ، الآيتان : ٤٠ ، ٤١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٢ .

(٣) الفتاوى ، جـ ٢ ، ص : ١٦٢ .

ويقول في كلمة أخرى ينصح فيها لتوحيد الجهود ومساعدة المسلمين في فلسطين: «إنني أنصح كل إخواني بالتعاون معهم ، وأنصح الأغنياء وولاة الأمور بأن يمدوا يد العون لإخوانهم في فلسطين المجاهدة لاسترداد بلادهم والنصر على الأعداء إن شاء الله ، أيدهم الله بالحق وجزاهم عن المسلمين كل خير ، وما عليهم إلا أن يصبروا ويصابروا ، فإن وعد الله حق ، وإن الله ناصر من ينصره ،وفقهم الله ونصرهم على عدوهم ، ووفق المسلمين لمساعدتهم والوقوف بصفهم ، حتى ينصرهم الله على عدوهم ، وهو سبحانه خير الناصرين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه»[١] .

لقد كان الشيخ – رحمه الله – في لقاءاته مع أبنائه العلماء وطلبة العلم والدعاة كثيراً ما يحثهم على القرب من ولاتهم والتودد إليهم وزيارتهم في أماكنهم ، وكان يحرص أشد الحرص على تأكيد هذه المسألة وبثها في نفوس أبنائه حتى وصل به الحال في بعض المرات أن بكى حينما رأى بعض المخالفة لرأيه في هذه المسائل لعلمه بما يحدثه الخلاف والبعد عن الولاة والنفرة بينهم وبين العلماء والدعاة من شرور وأخطار لا تحمد عقباها ، ولقد أثبتت الأيام صدق نظرته ، وحسن رأيه ، وجميل منهاجه ، وروعة نبراسه .

يقول – رحمه الله – مؤكداً على ضرورة التعاون والتعامل وتوحيد الجهود واجتماع الكلمة : «الواجب على العلماء البداءة بما بدأ فيه الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يتعلق بالمجامع الكافرة والبلدان غير الإسلامية ، وذلك بالدعوة إلى توحيد الله ، وترك عبادة ما سواه ،

---

(١) الفتاوى ، جـ ٥ ، ص : ٢٧٥ .

والإيمان به وبأسمائه وصفاته ، وإثباتها له على الوجه اللائق به عز وجل ، مع الإيمان برسوله ﷺ ومحبته واتباعه ، كما أن عليهم دعوة المسلمين في كل مكان إلى التمسك بشريعة الله والاستقامة عليها ، ونصح ولاة الأمور ، ومساعدة المحتاجين ومواساتهم ، كما أن على العلماء أن يستمروا في الدعوة إلى الله والحرص على الأعمال الخيرية ، وزيارة ولاة الأمور وتشجيعهم على الأعمال الحسنة ، وحثهم على تحكيم الشريعة وإلزام الشعوب بها عملاً بقول الله عز وجل : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[١] ، وقوله عز وجل : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة »[٣] .

ويقول – رحمه الله – : « أيها العلماء الكرام ، أيها الفضلاء ، إن واجبنا عظيم ، وإن واجب المسئولين في جميع العالم الإسلامي من علماء وأثرياء وأمراء وقادة عظيم جداً ، والمسئولية عظيمة ، علينا أن نتقي الله في عباد الله ، وعلينا أن نتعاون صادقين على البر والتقوى أينما كنا وأن تكون هناك علاقات قوية ، واتصالات دائمة في شأن الدعوة والدعاة ، وفي توجيه الناس إلى الخير ، وبالتعاون على البر والتقوى »[٤] .

ويقول – رحمه الله – مبيناً مسئولية الحكام والعلماء تجاه ما حل بالمسلمين من ضعف وأزمات : « المسئولية على الرؤساء والحكام ، وعلى

---

(١) سورة النساء ، الآية ٦٥ .
(٢) سورة المائدة ، الآية ٥٠ .
(٣) الفتاوى ، جـ ٥ ، ص : ٢٧٣ .
(٤) الفتاوى ، جـ ٢ ، ص ٣٣٩ .

العلماء والأعيان جميعاً ، على العلماء والأعيان النصح والمتابعة لهذا الأمر بجد ونشاط ، وعليهم أن لا ييأسوا ، وعلى الحكام أن يستجيبوا وأن يتقوا الله وأن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى ، وأن يبدؤوا بأنفسهم ، وأن يحكموا شرع الله في أنفسهم وفي بلادهم ، وبذلك ينصرهم الله ويعينهم على الحق ، ويهدي لهم شعوبهم ، وكذلك أيضاً يخيف الله بهم عدوهم ويمكنهم من أخذ حقوقهم لأن الله هو الذي ينصر لا غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾[١] ، ومن نصر الله نصره الله كما قال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾[٢] ، وكما قال عز وجل : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾[٣] .

ويقول – رحمه الله – : « فالواجب على علماء الإسلام وعلى دعاة المسلمين وعلى ولاة الأمر أن يتكاتفوا جميعاً لدعوة الناس جميعاً إلى الحق والتمسك به والاستقامة عليه ، وأن يكون هدف الجميع طاعة الله ورسوله والالتفاف حول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والحذر مما يخالف ذلك ، فهذا هو الطريق الأوحد لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم ونصرهم على عدوهم ، والله ولي التوفيق .

ويقول – رحمه الله – : « فالواجب على الحكام والأمراء والعلماء والأغنياء والفقراء الإنابة إلى الله والرجوع إليه والتمسك بالأخلاق التي

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٢٦ .
(٢) سورة محمد ، الآية ٧ .
(٣) سورة الحج ، الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

أوصى الله بها عباده ، والحذر الحذر من الأخلاق التي نهى الله عنها ، فمتى استقام الجميع وتعاونوا على البر والتقوى ، وتواصوا بهذه الأخلاق في جميع الأحوال : في الشدة والرخاء ، في السفر والإقامة ، أيدهم الله ونصرهم على أعدائهم وأعطاهم الملك العظيم ، وردَّ إليهم ما سلب منهم، وأصلح لهم ما فسد ، وهابهم أعداؤهم وخضعوا لهم ، وأدوا لهم الجزية والخراج خوفاً من قهرهم لهم أو دخلوا في الإسلام كما جرى لسلفنا الصالح »[١] .

ويقول – رحمه الله – : « هذا هو الواجب على جميع أهل العلم فهم خلفاء الرسل ، وهم ورثة الأنبياء ، فعليهم أن يبلغوا رسالات الله ، وعليهم أن يعلموا عباد الله شريعة الله ، وعليهم أن ينصحوا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وأن يصبروا على ذلك ، وعلى جميع ولاة الأمور أن يعينوهم ويشجعوهم ويقوموا بكل ما يسهل عليهم أداء هذا الواجب ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ ، ويقول النبي ﷺ : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » متفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، ويقول ﷺ : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » خرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه »[٢] .

وإليك هذا المنهاج الأسمى ، والمثل الأرقى ، الذي يقدمه الشيخ للولاة والدعاة في مسيرتهم إلى الله تعالى ، حيث يقول : « وبالأمس

---

(١) الفتاوى ، جـ٧ ، ص : ١٧٢ .

(٢) الفتاوى ، جـ٥ ، ص : ٨٤ .

القريب الإمام المجدد لمعالم الإسلام في القرن الثاني عشر لما رأى ما رأى من الجهل العظيم ، وتعطيل أحكام الشريعة وكثرة الجهل في الجزيرة وغيرها ، وقلة الدعاة إلى الله عز وجل ، وانقسام أهل هذه الجزيرة إلى دويلات صغيرة ، على غير هدى وعلى غير علم رأى أن من الواجب عليه أن يقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن ينبههم إلى ما وقعوا فيه من الخطر ، وأن يسعى ليجمع كلمتهم على الحق ، وعلى رئيس واحد يقيم فيهم أمر الله ويجاهدون في سبيل الله ، فجد رحمه الله في ذلك ، ودعا إلى الله ، واتصل بالأمراء ، وكتب الرسائل في أمر التوحيد وتحكيم شريعة الله وترك الشرك به ، ولم يزل صابراً على ذلك محتسباً بعدما درس وتفقه في الدين على مشايخ البلاد وغيرهم ، ثم جد في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وجمع الكلمة في حريملاء أولاً ، ثم في العيينة ثم انتقل – بعد أمور وشئون – إلى الدرعية وبايعه محمد بن سعود – رحمه الله – على الجهاد في سبيل الله وإقامة أمر الله ، فصدقوا جميعاً في ذلك وتكاتفوا في ذلك ، وجاهدوا على ضعفهم حتى نصرهم الله ، وأيدهم وأعلنوا التوحيد ودعوا الناس إلى الحق والهدى ، وحكموا شريعة الله في عباد الله ، وبسبب الصدق والاستعانة بالله وحسن المقصد أيدهم الله وأعانهم ، وأخبارهم لا تخفى على كثير ممن له أدنى بصيرة .

ثم جاء بعد ما جرى من الفتور والانقسام جاء الملك عبد العزيز رحمه الله وجد في هذا الأمر وحرص عليه ، واستعان بالله سبحانه ثم بأهل العلم والإيمان والبصيرة وأعانه الله وأيده ، وجمع له الله كلمة المسلمين في هذه الجزيرة على كلمة واحدة ، وعلى تحكيم شريعة الله وعلى الجهاد في سبيل الله حتى استقام أمره ، وتوحدت هذه الجزيرة –

من شمالها إلى جنوبها وشرقها وغربها - على الحق والهدى بأسباب الصدق والجهاد وإعلاء كلمة الله تعالى ، فالمقصود أن الأمثلة كثيرة في ذلك ، وهكذا صلاح الدين الأيوبي قصته معروفة ومحمود زنكي كذلك »[١] .

ونختم هذه الجولة الماتعة برسالة عالمية ، ونصيحة إسلامية من جملة ما كان يبعث به الشيخ - رحمه الله - إلى العاملين للإسلام في أنحاء الدنيا ، هذه رسالة ماتعة ، ووصية جامعة يبعث بها الشيخ - رحمه الله - إلى العلماء المجاهدين في أفغانستان محذراً لهم مما يثار بينهم من الفتن التي تفرق صفوفهم ، وتبعثر جهودهم .

يقول - رحمه الله - : « من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى عموم إخواننا علماء المجاهدين الأفغان وفقهم الله لكل خير وأقام بهم الدين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ..

لا يخفاكم - أعانني الله وإياكم - أن العلماء هم أهل الذكر ، وأن عامة الناس متعلقون بذمة العلماء ، والعالم يسأل عن نفسه وعن غيره ، وهدى العالم هدىً لغيره وصلاحه صلاح لغيره ، إذ العلماء هم أهل البصيرة والحكمة والخشية من الله تعالى ، والناس على آثارهم يقتدون ، وبأقوالهم وأفعالهم يهتدون ، وقد وفقكم الله تعالى لإقامة فريضة الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الله ، وكنتم بذلك أهلاً للعلم الذي أعطاكم

---

(١) الفتاوى ، جـ ٥ ، ص : ١١٤ .

الله ، وبرره بالميثاق الذي أخذه الله والوقوف معكم ، ونحمد الله الذي أكرمنا بأن أفتينا الناس بوجوب الجهاد معكم ومناصرتكم ضد أعداء الدين والقيام بحق الأخوة الإسلامية ، فهبّ المسلمون ولله الحمد من كل مكان يرجون الأجر والثواب ، ويطلبون الجنة ، وينصرون إخوانهم المستضعفين ، وبذلك أخذ الجهاد صورته الإسلامية العالمية ، وتأكدت في نفوس المسلمين جميعاً حقيقة الرابطة الدينية والأخوة الإيمانية فأغاظ ذلك الكافرين على اختلاف مللهم ، وأحبط خططهم في تفريق وحدة المسلمين وشتات كلمتهم ، وكتب الله هزيمة الكافرين ونصر المجاهدين ، فلجأ أعداء الدين إلى وسيلة أخرى لإيقاع الفرقة بين المسلمين عن طريق الخلافات المذهبية الموجودة بين الأمة منذ قديم الزمان ، فأشعلوا الفتنة وأثاروا العامة ، وأرادوا بذلك إيقاع الفساد بين المجاهدين الافغان وبين إخوانهم المسلمين ، وليس لهذه الفتنة من يدرؤها ويحبطها بعد الله إلا أنتم أيها الإخوة العلماء ، وأنتم تعلمون حفظكم الله أن الخلاف المذهبي في أمور الفروع واقع منذ قديم الزمان ، ولم يؤد ذلك إلى البغضاء والتشاحن والشقاق ؛ لأن الأمة الإسلامية متفقة في الأصول والقواعد ، وقد وجد الخلاف الفقهي بين الأئمة الأربعة ابتداءً بالإمام أبي حنيفة – رحمه الله – ، والإمام مالك – رحمه الله – ، ثم الإمام الشافعي – رحمه الله – ، ثم الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – ، ولم يحدث بينهم رغم ذلك شيء من النفرة والفتنة ، بل كانوا رغم اختلافهم في النظر والاجتهاد إخوة متحابين يُثني كل واحد منهم على الآخر ويُقدمه على نفسه ، وهذا هو الذي يجب أن يسود بين العلماء ، وإن اختلفت آراؤهم في مسائل الفروع .

وأنتم أيها الإخوة العلماء المجاهدون الأفغان تعلمون أن المسلمين قد نفروا للجهاد معكم من مختلف البلدان ، وهم على مذاهب مختلفة ، فمنهم الحنفي ، ومنهم المالكي ، ومنهم الشافعي ، ومنهم الحنبلي ، وأنتم وفقنا الله وإياكم أولى من يبين للعامة ذلك ويحذرهم من خطر الوقوع في حبائل كيد الكافرين بما يشيعونه بين العامة من أن المجاهدين من العرب خاصة جاؤوا لهدم المذهب الحنفي ، وأنتم تدركون أن هذا من دَسِّ الكافرين للتفريق بين المسلمين ، وبذر الفتنة بينهم ، ولا يخفاكم أن أتباع الأئمة المجتهدين لم يكونوا يُفسّقون من يخالفهم فضلاً عن أن يكفّروه ، ولم يكونوا يرون اتباع إمام غير إمامهم مُنكراً تجب محاربته ، وهذه هي عقيدة علماء المسلمين جميعاً .

وواجبكم أيها الإخوة أن تحولوا دون وقوع الفتن بين المسلمين ، وذلك ببيان الحق وتبصير العامة ودرء المفسدة والاعتصام بالكتاب والسنة ، وبيان أن أتباع الأئمة الأربعة كلهم إخوة في الله يُصلي بعضهم خلف بعض ، ويعرف له حقه وفضله ، وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية ، وأتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – كلهم من الحنابلة ويعترفون بفضل الأئمة الأربعة ، ويعتبرون أتباع المذاهب الأربعة إخوة لهم في الله ، فأرجوا إيضاح هذا الأمر للناس حتى لا ينجح العدو فيما أراده من التفرقة بين المجاهدين الأفغان وإخوانهم من العرب وغيرهم أتباع الأئمة الثلاثة (مالك والشافعي وأحمد) رحمهم الله .

سدد الله رأيكم ، وبارك في جهودكم ، ونصر بكم الحق ، وجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين الناصرين لدين الله ، والذائدين عن شريعته

والدعاة إليه على بصيرة إنه ولي ذلك والقادر عليه»[١] .

ولقد كان الشيخ – رحمه الله – يعتصره الأسى ، ويمزقه الألم حينما يسمع بالخلاف والفرقة تدب بين قادة المجاهدين ، وله من رسائل النصح وجهود التوفيق ما لن ينساه له التاريخ أو يتنكر له الزمان ، فعليه رحمة الملك الديان .

---

(١) الفتاوى ، جـ٥ ، ص : ١٤٨ .

ثمار السمع والطاعة والتعامل والتعاون مع ولاة الأمور والعاملين للإسلام

التعامل والتعاون بستان جميل ، ودوحة غنّاء ، وروضة فيحاء ، فيها من كل الثمرات ، وتنتج أجمل الزهرات ، ومن تلك الثمار اليانعة :

١ – امتثال التوجيهات القرآنية ، والوصايا النبوية التي مرّ كثير منها في ثنايا هذا البحث التي تأمر بالسمع والطاعة ، وتدعو إلى وحدة الجماعة ، وتأمر بالاعتصام بحبل الله، وتنهى عن الفرقة والخلاف ، وتدعو إلى الحب والائتلاف .

٢ – تعليم الرعية ، وتعويد البشرية على السمع والطاعة ، والامتثال والاحترام والتعاون والتشاور .

٣ – إظهار التآخي والتلازم ، والمودة والتلاحم ، والالتئام والتفاهم ، ليفرح بذلك الأصدقاء ، ويسر به الأتقياء ، ويغاظ به الأعداء والأدعياء .

٤ – المحافظة على الأمن والأمان ، ووحدة الكيان ، والبعد عن سبل الشر وطرق الأذى ، ودروب الفتن .

٥ – قوة شوكة الأمة ، وظهور تكاتف الدولة ، وإظهار تلاحم الرعية .

٦ – تقوية أواصر المودة ، وبناء جسور المحبة ، وتشييد دعائم الأخوة .

٧ – قطف الثمار اليانعة ، وحصول البركات النافعة للنهج الجميل ، والفهم السديد ، والسير المرشّد .

٨ – انتشار العلم والإيمان ، وتيسير سبل الدعوة إلى الله ، ونشر فضائل الشريعة ، وإظهار سماحة الدين .

٩ – السلامة من العواقب الوخيمة ، والنجاة من الكوارث الأليمة ، والبعد عن المهاترات ، والأمان من المصادمات ، والحفظ للحرمات .

١٠ – سلامة القلوب من الشوائب ، ونقاء النفوس من المثالب ، وخلو الأعمال من المعايب .

الخاتمة

ختاماً أقول :

هذه أحـــرف تجلي ومـــيـــضـــاً ... من عطاء في لمســـة من وفـــاء
إنهـا همـسـة من الحب خـجلي ... كدتُ أخفي أوراقها من حيائي
وصـــلاةً زكـــيـــةً وســـلامـــاً ... من فـــؤادي على أبي الزهراء
مـا تغنتْ حـمـائم الأيك تشـدو ... وَهْي جـــذلى في روضـــةٍ غنَّاءِ

أظهرت لنا هذه الصفحات الماضية ، روائع من ذلك النهج الجميل ، والسير الأصيل، المستنير بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، ونهج الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، والعلماء العاملين الناصحين السائرين على الأثر ، المتبعين للهدى ، الملتزمين بالسنة ، ذلك النهج القويم الذي حمل رايته في هذا العصر بقية السلف وحامل لوائهم ، ووارث منهاجهم ، سماحة الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله .

ظهر لنا كبير علمه ، وعميق فهمه ، وبديع حكمته ، وجلاء بصيرته، وعذب مورده ، ونقاء مصدره ، وصفاء منهجه ، وما ذكرناه فهو غيض من فيض ، ونزر من نهر ، ويسير من كثير .

من ذا يوفِّي إمـــام الجـــيل منزله ... وكل مـا قـيل فـيـه عـشـر معـشـار
من يرتقي لسـهـيل في منازله ... ومن يقـــابل إغـــزاراً بإنزار؟
عـشنا مع العلم والإيمان في ظُلَلٍ ... من السـمـاحـة في جـهـرٍ وإضـمـار

أظهرت لنا الصفحات الماضية روعة الإسلام ، وجلال المنهج ، وجمال

المعتقد ، وأن هذا الدين لا يذهب رونقه ، ولا يتلاشى بهاؤه ، ولا يخفت سناؤه ، وأنه دين الرحمة والعطف ، والسهولة واللطف ، لا يورث الحرج ، ولا يحدث العنت ، ولا يكلف المشقة ، ولا يأمر بما لا يحتمل ، ولا يجر للمهالك ، أو يدعو للمتالف ، وأن ما يحدث من أخطاء وأعباء وأدواء وأرزاء هي بسبب عدم فهم روحه ، ومعرفة كنهه ، وسبر أغواره، والاستنارة بنوره .

أظهرت لنا أن من سار على نهج النبي ﷺ ، واقتفى أثره ، وارتضى طريقه ، وامتثل أمره ، وأخذ بوصاياه ، فقد جنى ثمار الرضا ، ونال سبيل الهدى ، وضمن نجاح دعوته ، وفلاح مسيرته ، وحسن بصيرته .

أظهرت لنا أن الأمة بحاجة إلى قدوات شامخة ، وقدرات راسخة ، تمضي على نور من الكتاب ، وتطبق منهاج النبوة ، وتسير على أثر السلف الصالح ، يوجهون الدعاة ، ويلا طفون الولاة ، وينصحون للأمة ، رائدهم الوحي ، وقائدهم محمد ﷺ ، وأسلوبهم الرفق ، وعنوانهم الرحمة ، ودستورهم الإخلاص ، يتعاملون مع كل الفئات ، وجميع الطبقات ، بما يمليه الشرع، ويرتضيه الرب ، وتطيقه النفوس ، ويحتمله الواقع .

أظهرت لنا أن حسن التعامل والتعاون مع ولاة الأمور والعاملين للإسلام منهاج رائد ، وعمل راشد ، يثمر خيراً كثيراً ، وعطاءً غزيراً ، وأن تلمس أسباب الألفة ، والحرص على روابط المحبة ، والسير في ركب المودة ، وتكامل الجهود ، وتكاتف العطاء ، هو النهج القويم ، والطريق الحكيم ، الذي يقوى به الصف ، وتنهض به الأمة ، وتعظم به الهيبة ، ويغاظ به الأعداء ، ويحبه الرحمن ، ويدعو له القرآن .

وقفت بنا الصفحات الخالية على صفات زاكية ، وسمات راقية ، تكتب للمرء النجاح الباهر في سجل الخلود ، وصفحات العظمة ، ودفاتر الريادة ، ورسمت لنا لوحات هائمة تنطق بالجمال ، وتفيض بالروعة ، وتنبئ بالإحسان ، وتحدث عن الإتقان .

إن امتثال العالم لأمر ربه ، وتأمله لكتابه ، وفهمه لأسراره ، واتباعه لنبيه ، وعمله بسنته ، وإخلاصه لمولاه ، وتجافيه عن الدنيا ، وحبه للخير، وقيامه بواجب النصح ، وفريضة البيان ، وصفاء قلبه ، ونقاء سريرته ، وجده واجتهاده . وكل ذلك التكامل والتواصل ، والتوازن والتآلف ، والتوافق والانسجام ، تظهر بركاته على الأرض ، وتعمّ بفواضله الدنيا ، وتتحدث بشمائله الأرجاء ، وترتوي من معينه القلوب الظماء .

وإن سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله – كان مثلاً حياً في هذا الزمان للعالم العامل ، والناصح الصادق ، والداعية الموفق .

لقد أنعم عليه العلي القدير فنجح نجاحاً منقطع النظير ، وأثبتت الأيام سلامة نهجه ، وصدقت الأحداث براعة رأيه ، ورضيت به الشعوب، واجتمعت عليه القلوب، وذلك الفضل من علام الغيوب .

تمر أيامنا والحزن ما خمدت ... نيرانه من فؤاد الواله الكَلِف
أين المعين الذي يروي ضمائرنا ... وأين شهد الرضا والعلم والطُّرَف
أين الذي تشرق الدنيا بطلعته ... وعاش أهل السجايا منه في كَنَفِ
أين المهابة والإجلال أين غدا ... مُحْيي أفانين زهر المنهج السلفي
أبيت أرعى نجوم الليل من أرقي ... كأن ثهلانَ من هَمِّي على كتفي
تبكي قلوب التقى عنوان بهجتها ... تتوق للعالم البحّاثة الثَّقِف
فقه ابن حنبل ، إبداع ابن تيميةٍ ... والجود يُزْري بجودٍ من أبي دُلَفِ

أغـــرّ يجلو بنور من تألقـــه ... وصدقه في النوايا حالك السُّدَف
يفوز بالسعد منه كل مقترب ... علم وحلم وبحر غير مُنْتَزَفِ
لا فرق في حسن لفظ أو معاملة ... لذي جلال ومال أو لذي خصف
تفجّرت منه أنهار العلوم وما ... يزال سلسالها ريّاً لمغترف
لطف وصدق وإخلاص ومرتبة ... في الفضل والعدل مأمون من الجَنَف
وبين جنبيه من حسن النهى فكَرٌ ... حسناء كاللؤلؤ المكنون في الصدف
تهتز من لفظه المعسول أنفسنا ... فيضاً من العلم سلسالاً لمرتشف
لم يرض بالعيش في ظل القصور وفي ... بحبوحة المال بل في الزهد والشظف
وللمساجد جُلُّ الوقت يبذله ... ما بين علم وتعليم ومُعْتَكَفِ
ماذا يجلي بياني من روائعه ... لو صغتُه في مئات الكُتْبِ والصحف
اختاره الواحد الخلاق في زمن ... تعيش منه البرايا في شفا جُرُفِ
سُلواننا يا إمام العصر في نُخَبٍ ... وذائبٍ من سلاف القول مُرْتَشَفِ
إذا تغنى هُواة الغيد أو عشقوا ... فإن لي فيك أزكى الحب والشغف
هذي أحاديث من ذكراك ترسمها ... دموعنا يا مَعين الفضل والشرف
تبقى ضياءً مدى الأيام معلنةً ... صدق النوايا وطُهْر النهج والهدف

وإنني أوصي كل طالب للعلم ، ومحب للخير ، وحريص على الدعوة أن يعود إلى كتابات الشيخ ومقالاته ، وفتاواه ومحاضراته ، فإن عليها إشراق النبوة ، وضياء الوحي ، وروعة الإخلاص ، وسمو الهدف ، وسوف يجد ما يروي ظمأ الفؤاد ، ويسعد قلوب الرواد ، وما شهدنا إلا بما علمنا ، ولا نطقنا إلا بما فهمنا ، وبالله التوفيق وعليه التكلان ، وصلى الله وسلم على إمام العلماء ، ورائد النبلاء ، وخاتم الأنبياء ، سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين ،،،